مُصطفى وَهبي التل من أين إلى أين؟

على خالقي– جامعة الامام خمينى(ره) الدولية (إيران).

د.علي صياداني– جامعة الشهيد مدني بأذربيجان(إيران)

د.مهدي شفائي – جامعة مثقفين(إيران)

Mustafa Wahbi al-tal from where to Where?

ali khaleghi :Imam Khomeini International University, Qazvin.
Dr.Ali Sayadani: Azarbaijan Shahid Madani University.
Dr.mehdi shafayi: Farhangian University.
a.sayadani@azaruniv.edu

Abstract

Mustrafa Wahbi Al-Tal (1899-1949) is called the poet of Jordan. His son Wasfi Altal was the prime minister of Jordan during the 1970s and the other son Sai'id Altal who was the prime minister of Jordan during the 1990s.

الملخص

الملك طلال وعرار، مصطفى وهبي صالح التل، (25 أيار 1899 – 24 مايو 1949) لقب بشاعر الأردن، وعرار؛ حصل على وسام النهضة من الدرجة الثالثة؛ من أبنائه وصفي التل الذي شغل منصب رئيس الوزاء في المملكة الأردنية الهاشمية خلال السبعينيات من القرن العشرين وسعيد التل الذي شغل منصب نائباً لرئيس الوزاء في المملكة الأردنية الهاشمية خلال التسعينات.

عاش حياته كلها متنقلاً بين «خرابيش» النور والغَجَر، غير آبه لاحتجاجات العائلة وانتقادات المجتمع ومستقراً في عالمهم يريد لهم الحرية والعدالة الاجتماعية التي لم تتوفر لمجتمعه، فكأنه انفصل عن محيطه الطبيعي ليكتب عنه من خارجه.

ترك الشاعر العديد من الأثار النثرية إلى جانب ديوانه الشعري؛ كان شعره بأكثره ثورة على الاضطهاد والظلم، لا فرق إن أتى من «القصر» أو «الحكومة» أو معتمدي دول الانتداب.

الكلمات الرئيسيّة: مصطفى وهبى التل . شعر العربى قرن العشرين . عشيّات وادى اليابس . حياته وآثاره

المقدّمة:

في البداية أود تقرير حقيقة مهمة، وهي أن النقد العربي المعاصر أهمل الكثير من الأدباء والشعراء، ولم يعطهم حقهم من الدراسة والتقويم، لاعتبارات كثيرة منها ما هو ذاتي، ومنها ما هو موضوعي؛ من هؤلاء الذين لم يعطوا حقهم كاملاً الشاعر الأردني مصطفى وهبي التل «عرار» كما كان يعرف ويوقع أشعاره.

من الأسباب الذاتية لهذا، نوعية الحياة التي عاشها، والتي مثلت رفضًا كاملاً لما يسود مجتمعه آنذاك (1897 . 1949) في كافة نواحيه الإجتماعية والسياسية؛ ففي المجال الإجتماعي سخر نفسه وشعره للدفاع عن الطبقات المحرومة المضطهدة، وتعرية الفئات الإقطاعية التي تجمع ثرواتها من دماء الشعب وقوت يومه، لذلك ليس غريبا إزاء هذا الرفض لمجتمعه أن يهرب منه لاجئاً الى فئة منبوذة اجتماعياً، هي فئة «النور» . الغجر كما يسمون أحياناً . وقد كان موقفه هذا موضع استهجان من اغلب الأوساط الإجتماعية خاصة وهو ينتمي لعائلة لها مكانتها في المجتمع الأردني.

ومن الأسباب الموضوعية . لعدم اهتمام النقد بهذا الشاعر . أن منطقة فلسطين والأردن لم تهتم بها الدراسات الأدبية إلا في وقت متأخر، وفي السنوات الأخيرة فقط، بعكس أقطار مثل مصر ولبنان.

لذلك كانت هذه الدراسة عن الشاعر «عرار» لإعطاء صورة متكاملة عنه اجتماعياً وسياسياً وأدبياً، مركزة على النواحي التي لم تهتم بها الدراسات السابقة على قلتها؛ ومنها:

ما كتبه «الدكتور ناصر الدين الأسد» من تعريف عام وسريع في كتابه «الإتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن» (عام 1957)، ثم عاد اليه بتفصيل أكثر مع نماذج من شعره، في كتابه «الشعر الحديث في فلسطين والأردن» (عام 1961)

إن الدراسة الواعية لـ «عرار» توحي أننا إزاء شاعر ملتزم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، انه كما اسميه «شاعر موقف» فقد حدد لنفسه موقفاً من كل ما يحيط به، غير خائف من النتائج التي عاشها سجناً واعتقالاً ونفياً: في المجتمع، هاجم الطبقات المستغِلة معلناً وقوفه في جانب الطبقات الكادحة التي كان يستغل عرقها وجهدها لصالح الأثرياء والمرابين والحكام.

1) حياة مصطفى وهبي التل

ولد مصطفى وهبي التل في مدينة «إربد» شمال «الأردن» في 1899/5/25، وتلقى تعليمه الابتدائي فيها. سافر إلى دمشق عام 1912، وواصل تعليمه في مدرسة عنبر. وخلال دراسته شارك زملاءه في الحركات التي كانوا يقومون بها ضد الأتراك، فنفي على إثر إحدى هذه الحركات إلى بيروت، ولكنه ما لبث أن عاد إلى دمشق مرة أخرى.

في صيف عام 1916 عاد مصطفى إلى اربد لقضاء العطلة الصيفية، وفي أثناء هذه الفترة نشبت بينه وبين والده خلافات حادة، مما جعل والده يحجم عن إعادته إلى مدرسة عنبر في دمشق، ويبقيه في اربد ليعمل في مدرسة خاصة كان قد افتتحها آنذاك وسماها (المدرسة الصالحية العثمانية).

بقي مصطفى في اربد. وعمل في مدرسة والده مضطراً، واستمرت خلافاتهما واشتدت فقرر أن يترك اربد، فغادرها صباح يوم 1917/6/20 بصحبة صديقة محمد صبحي أبي غنيمة قاصدين استنبول، ولكنهما لم يبلغاها، إذ استقر المقام بمصطفى في عربكير حيث كان عمه علي نيازي قائم مقام فيها.

في عربكير عمل مصطفى وكيل معلم ثان لمحلة اسكيشهر، إذ عين في هذه الوظيفة بتاريخ 1918/10/3. واستقال منها في 1919/3/9.

قضى مصطفى صيف عام 1919 في اربد، واستطاع خلال هذه الفترة بمساعدة بعض زملائه إقناع والده بضرورة إرجاعه إلى مدرسة عنبر بدمشق.

فسافر إليها في مطلع العام الدراسي 1919 .1920؛ ولكن عودته صادفت قيام حركات طلابية شارك فيها، بل كان مع بعض أصدقائه على رأسها، مما جعل السلطات تقرر نفيه إلى حلب، وسمحت له بإكمال دراسته فيها، فسافر إليها في شباط 1920، ومكث فيها حتى الشهر السادس من عام 1920؛ حين غادرها بهد أن حصل على الشهادة الثانوية من المدرسة السلطانية.

وفي أثناء دراسته هذه تعلم اللغة – التركية وهي اللغة الرسمية وقتذاك، كما عرف الفارسية، وفي أواخر العشرينات درس مصطفى القانون معتمداً على نفسه، وتقدم للفحص الذي كانت تجريه وزارة العدلية آنذاك فاجتازه، وحصل على إجازة المحاماة في 3 شباط 1930.

عمل مصطفى في الفترة الواقعة بين 1922/4/22–1931 معلماً في مدرسة الكرك، وفي مناطق متفرقة من شرقي الأردن، وحاكماً إدارياً لثلاث نواحي شرقي الأردن، وهي وادي السير، والزرقاء، والشوبك.

وعمل خلال الأعوام 1931 . 1942 معلماً في اربد ثم في سلك القضاء ابتداء من 1933/1/1، فتسلم مجموعة من الوظائف هي: مأمور إجراءات، ثم في عمان، ورئيس كتاب محكمة الاستئناف، ومدّعي عام السلط، ومساعد النائب العام. ثم عاد إلى وزارة المعارف فتسلم وظيفة المفتش الأول فيها.

وحين تركها عين رئيس تشريفات في الديوان العالي، فمتصرفا للواء البلقاء (لسلط)، ومكث في منصبه هذا أقل من أربعة أشهر، إذ عزل، واقتيد إلى سجن المحطة في عمان حيث قضى نحو سبعين يوماً.

بعد خروجه من السجن في نهاية عام 1942 مارس مصطفى مهنة المحاماة في عمان حيث افتتح مكتباً خاصاً به، ومع المحاماة مارس الإدمان.

كان لمصطفى صلات واسعة مع كثير من الشعراء المعاصرين له أمثال: إبراهيم ناجي، أحمد الصافي النجفي، إبراهيم طوقان، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، الشيخ فؤاد الخطيب، كما كانت صلته وثيقة ببلاط الملك عبد الله ابن الحسين، حيث كانت تجتمع نخبة من الشعراء والأدباء. وتدور بينهم مساجلات ومعارضات شعرية.

في صباح يوم الثلاثاء 1949/5/24 توفي مصطفى في المستشفى الحكومي بعمان، ونقل جثمانه إلى اربد مسقط رأسه، حيث دفن في تل إربد حسب وصيته.

2) آثاره الأدبيّة

على الرغم من أن شهرة عرار اعتمدت على كونه شاعرا، حققت اشعاره انتشاراً واسعاً بين المواطنين الأردنيين، إلا أنه ترك بعض الاثار النثرية، نذكرها فيما يلي:

1 . 2) آثار المنثور

1. **ترجمته النثرية لبعض رباعيات الخيام:** التي كان قد نشرها في مجلة «منيرفا» عام 1925، وقد جمعها البدوي الملثم في كتابه «عرار، شاعر الأردن» صص 87 . 92؛ ويفهم من المعلومات التي وردت في الكتاب المذكور أن مجلة «منيرفا» كانت قد نشرت ترجمة لبعض الرباعيات للشاعر اللبناني امين نخلة، فلم تعجب الشاعر مصطفى وهبي التل، فبدأ يترجم الرباعيات، بينما ترجمها أمين نخلة عن الانجليزية، وهذا ما أبعدها عن الروح التي تضمنتها الرباعيات بالفارسية، وما دمت بصدد الحديث عن ترجمته للرباعيات، فأود أن أشير إلى أنني قد عثرت في بقايا مكتبته على كتاب باللغة التركية اسمه «رباعيات عمر الخيام» للأديبين التركيين «حسين دانش» و«رضا توفيق»؛ وقد احتوى الكتاب على نص الرباعيات بالفارسية، وترجمتها إلى التركية؛ وقد وجدت على هامش النص الفارسي ترجمة شعرية عربية لما يقارب ثلاثين رباعية، تبين لي بعد مقارنتها بالترجمات الشعرية العربية المعروفة للرباعيات، أنها من ترجمة وديع البستاني؛ ومعنى هذا أنه كان يستعين بترجمة البستاني في دراسته للرباعيات الفارسية بوضع الترجمة العربية على هامش النص الفارسي، بالرغم من أن ترجمة البستاني للرباعيات عن الانجليزية لا الفارسية.
2. **رسالته «اصدقائي النور»**[1]: وهي مجموعة أحاديث بثها من الإذاعة الفلسطينية إبان الانتداب البريطاني، وهي حول علاقته بالنور، وتجربته الشخصية معهم، وما لمسه بالممارسة عن عاداتهم وتقاليدهم، وعلاقاتهم الاجتماعية. ونلمس منها مدى التعاطف الانساني الذي كان يشعر به نحوهم، انطلاقاً من الظلم الواقع عليهم من المجتمع المحيط بهم. ومنها نتعرف على مفهومه للعدالة الاجتماعية، التي يجب أن تشمل كل الفئات والطوائف، بعيداً عن التمييز العرقي والعنصري؛ مذكرته الشخصية والاشارة الوحيدة الدالة على وجودها، هي ما ذكره محمود المطلق المحامي بشأنها عند كتابة مقدمة الطبعة الأولى من ديوان الشاعر «عشيات وادي اليابس» عام 1954؛ فقد أشار اليها في أكثر من موضع من المقدمة المذكورة، وقد حاولت الاطلاع عليها عند محمود المطلق المحامي، فلم أوفق، كما لجأت إلى صديق صباه أحمد الشرع، فلم أجد شيئاً منها عنده. لذلك لا أستطيع أن أؤكد إن كانت مذكرات كاملة، أم مجرد ورقات كتب عليها الشاعر بعض اللقطات التي مرت به، وتعرض لها في حياته.

1 ـ نشرها البدوي الملثم في كتابه: عرار شاعر الأردن، صص 125- 137.

3. **رسالته «الأئمة من قريش»:** وقصة هذه الرسالة أنه عندما كان «الملك الحسين بن علي» (= قائد الثورة العربية ضد الأتراك) في عمان، جاءته الأخبار أن الأتراك ألغوا الخلافة الاسلامية . بعد انقلاب أتاتورك . وطردوا أبناء الخلفاء من بلادهم، فسعى الأمير عبد الله لمبايعة أبيه خليفة للمسلمين، وأميرا للمؤمنين واشترك في ذلك وفود من فلسطين وشرق الاردن والأقطار المجاورة، فبويع رسمياً في 14 آذار . مارس 1924. وبعد أن توفي «الحسين بن علي» في الرابع من حزيران . يونيو عام 1931.
4. **سعت بعض الجهات إلى الخلافة الاسلامية:** فوضع الشاعر كتيبه هذا، الذي عرف باسم «الأئمة من قريش» مذكراً الساعين إلى الخلافة: «أن العرب لا تدين الا لهذا الحي من قريش، وأن المسلمين لا يقرون إلا إمامة سيد من سادة هذا البيت من هاشم.»[1] وهو يشير بذلك إلى أن الحسين بن علي وأولاده من رهط هاشم بن عبد المناف، وأن الخلافة يجب أن تكون محصورة فيهم، وإلى ذلك ترجع تسمية «المملكة الاردنية الهاشمية».
5. **كتيب صغير الحجم بعنوان «طلال»:** وضعه بالاشتراك مع المرحوم خليل نصر، صاحب جريدة «الأردن» التي نشر فيها الكثير من أشعاره وقدماه هدية إلى الأمير «طلال بن عبدالله»، ولي عهد الامارة الاردنية آنذاك، بمناسبة عقد قرانه، وهو انطباعات وخواطر عن الأمير.

تلك هي الاثار النثرية التي عرفت لشاعرنا مصطفى وهبي التل، وطبعت نصوصها وحدها أو ضمن كتب اخرى كما أشرنا من قبل. وما عدا ذلك لم يعرف للشاعر المرحوم البدوي الملثم أنه عثر عليها، وأنها مرسلة من الشاعر الى صديقه سليمان النابلسي . رئيس وزراء الأردن الأسبق .، وقد ورد في هذه الرسالة قول عرار:

«... غداً سأسافر للقدس لطبع مجموعة قصصي الأردنية وهي: «سدوم» و«بنت يفتاح» و«حمام المزابل» و«حراث مادبا» و«حديث ليلة» و«سحر المزابل»؛ وليس هناك وثيقة اخرى تشير إلى هذه القصص التي لم يستطيع أحد حتى آلان ان يعثر على نصوصها.»

ولا بد في هذا الصدد من الاشارة الى ما كتبه انور الجندي عن «عرار» في كتابه «الشعر العربي المعاصر، تطوره وأعلامه)). فقد كتب عنه خمس صفحات، وهي كتابة غير مسؤولة، على الرغم من أنها اقتباس من كتاب البدوي الملثم. ودليلنا على عدم علمية ما كتب أو موضوعيته، قوله ص431:

«... ولعرار مؤلفات منها «مسرحية سدوم» وديوانه الذي طبع بعد وفاته، وله ديوان «عشيات وادي اليابس» الذي لم يطبع.»

وهكذا الكلام بعيد عن الصحة والمنطق، ولا اتصور كيف تجرأ على إيراده في كتابه المذكور، الذي يعتبره تأريخا لتطور الشعر العربي المعاصر وأعلامه، فديوان «عرار» الوحيد الذي طبع هو «عشيات وادي البس» وقد طبع بعد وفاته بخمس سنوات تقريباً.

أما «سدوم» فيسميها أنور الجندي «مسرحية»، بينما هي قصة 9، كما يفهم من سطور رسالة الشاعر لصديقه سليمان النابلسي، في حين ان البدوي الملثم نفسه عاد في كتابه المذكور، ليشير أليها إشارة سريعة في ص 326 بقوله:

«من آثار عرار القلمية قصة وضعها في عام 1947 بعنوان «سدوم» وفي أحد فصولها عالج حبه للاردن.»

وقوله: «في أحد فصولها...» يفهم منه أنها رواية، قصيرة أو طويلة. وهكذا فعرار يير الى «سدوم» على أنها «قصة» في مجموعته القصصية، وأنور الجندي يسميها «مسرحية»، ويفهم من كلام البدوي الملثم أنها «رواية»، دون ان يقوم أي منهما بنشرها إن كان قد وضع يده عليها، ليظهر أقصة هي أم مسرحية أم رواية.

1 ـ جملة من خطبة «أبي بكر بن ابى قحافة» في سقيفة بني ساعدة،

2 . 2) آثار المنظوم

أ. **ديوانه المطبوع:** نشر عرار أشعاره في أثناء حياته في صحف ومجلات متفرقة، كان أهمها صحيفة «الأردن» التي كانت تصدر في عمان لصاحبها خليل نصر؛ ولقد كان في نية عرار ان يجمع أشعاره في ديوان قبل أن يتوفى، ولقد قطع في ذلك شوطا، فالاشعار موجودة لديه في قصاصات الورق والصحف والمجلات التي كان ينشر فيها، وقد أرسل الى صديقه الشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي يستكتبه مقدمة للديوان المزمع جمعه وطبعه، فكتب اليه الكلمة التالية:

«يجد المتمعن في شعر الاستاذ عرار أو مصطفى وهبي التل روحا خفيفا وثابا وأسلوبا جذابا صادقا وخيالا رقيقا، واهتماما فائقا بالمعنى وقلة اكتراث باللفظ، مع الاحتفاظ بانتقاء ما هو صحيح من الكلمات التي تجعل لاسلوبه طابعا خاصا ولشعره مزايا خاصة، وتجعلني اعتقد انه جدير باسم الشاعر الحقيقي؛ نعم! لا أنكر تأثره بشعراء الفرس والترك والعرب، وبما يقرؤه مترجما عن الاداب الهندية، إلا أني أرى له مع تأثره هذا شخصية خاصة في شعره، تدلني على أنه على الرغم من تأثراته الشتى بآداب شتى قد طبع شعره بطابعه الخاص، وأعطانا جوهرا خالصا هو عصارة روحه ومرآة نفسه وصدى محيطه وعصره، هو هذا الذي تقروه في عشيات وادي اليابس.»[1]

ولقد اختار لهذا الديوان، المزمع جمعه وطبعه اسم «عشيات وادي اليابس» قبل وفاته، وقد أشار الى هذه التسمية التي عرف بها الديوان في قصيدة: «عشيات وادي اليابس// تقدمة احترام الى فتاة وادي اليابس» التي يقول فيها:

يا أخت واد[2] قد دعوتك باسمه

و له نسبت . تبركاً . ديواني

ولكن الشاعر توفي قبل القيام بجمع قصائده في ديوان، على الرغم من إلحاح زملائه المستمر:

قالوا لشعرك عشاق بودهم أن يجمعوا بعضه في شبه ديوان

فقلت شعري أشلاء مبعثرة كأنها عمري في كل ميدان[3]

وظل الديوان «أشلاء مبعثرة»، هنا في صحيفة، وهناك في مجلة، حتى عام 1954، أي بعد وفاته بحوالي خمس سنوات، حين تولى نجل الشاعر «مريود» جمع القصائد من الصحف والمجلات وأوراقه الخاصة، وكتب مقدمة الديوان صديقه «محمود المطلق المحامي»، وكان قد قام بتنسيقه وتنقيحه، ونشر القصائد بترتيب عفوي ودونما قصد، حيث لم يوفق إلى معرفة تاريخ كل قصيدة وقد ظهرت الطبعة الأولى من الديوان بمساعدة شركة الطباعة الحديثة في عمان في أيلول . سبتمبر 1954 في 196 صفحة.

ويعتقد «محمود المطلق المحامي»:

«أنّه قد ضاع بعض شعر عرار ولم ينشر في هذا الديوان لأن شعره لم يجمع في حياته، ولكني أعتقد أن ما ضاع منه ليس بالشيء الكثير أو المهم... وقد اضطررت الى حذف إحدى المقطوعات الشعرية وبعض الأبيات التي لا يجوز نشرها، لأنها تمس بصورة ظاهرة أشخاصاً معينين، ولكن مجموع ما حذف من هذا القبيل قليل لا يكاد يتجاوز العشرين بيتا.»[4]

لكني لا أثق فيما يزعمه محمود المطلق من أن «ما حذف قليل لا يكاد يتجاوز العشرين بيتاً»

وذلك لأن الجانب الذي عرف به الشاعر، وهو المعارضة السياسية المناوئة للقصر والمعتمدين الانجليز، لم ينشر من أشعاره فيه الا القليل في الديوان المطبوع؛ ولقد ظهرت كافة جوانب حياته الخاصة والعامة في أشعار الديوان المطبوع ما عدا هذا الجانب السياسي المعارض المناوىء، إذ لم يرد منه في هذا الديوان سوى أبيات قليلة. ولقد قمت بالاتصال شخصيا

1 ـ هذه الكلمة وردت في مقدمة محمود المطلق المحامي لديوان الشاعر ص29.
2 ـ المقصود وادي اليابس الذي نسب اليه الديوان.
3 ـ ديوانه ص48.
4 ـ مقدمة الديوان ص1.

بالمرحوم البدوي الملثم «يعقوب العودات» الذي عرف الشاعر معرفة وثيقة، وبسؤاله عن هذا الجانب أفادني بأن هناك الكثير من هذه الأشعار مما لم ينشر في الديوان، وأنه يحتفظ بجزء كبير منها، إلا أن الأوضاع السياسية السائدة في شرق الاردن تمنعه من نشرها، وبالتالي رفض إمدادي بها. كما أن «السيد أحمد الشرع» . صديق الشاعر . وعد بتزويدي ببعض هذه الاشعار، إلا أنه لم يف بذلك.

وهناك دليل آخر علمي وماموس، يدل على أن ما حذف من أشعاره السياسية، وغيرها، كثير جداً يتعدى مئات الأبيات. هذا الدليل نجده في عشرات الأبيات السياسية وغير السياسة التي تضمنها كتاب البدوي الملثم[1]، والتي لم يرد ذكرها مطلقاً في الديوان المطبوع.

ومن هذا يتضح ان ما حذف من أشعاره كثير جداً، ولقد أحصيت منها في كتاب البدوي الملثم المذكور مائتين وتسعين بيتاً، وغيرها الكثير أيضاً في مخطوطته «زهور الغاب»، التي سيأتي الحديث عنها في ملحق في نهاية الكتاب. وأغلب الأشعار التي لم ترد في الديوان المطبوع لا ينطبق عليها قول محمود المطلق المحامي في مقدمة الديوان:

«أنه تعمد إهمال نشر بعض القصائد وبعض الأبيات لأنها رديئة جداً، ولا يمكن اعتبارها في مستوى الشاعر.»

إن أغلب هذه الأشعار لا ينطبق عليها قوله هذا، وبشكل خاص تلك المعاضات الشعرية التي كان يشترك بها في ديوان الأمير عبدالله، بل هي . كما أرى . تبين لنا مستوى موهبة الشاعر، وفطرته في النظم، حيث كان يسمع القصيدة فيعارضها، وتعرض عليه القصيدة فيشطرها تشطيراً جميلا، وهي كما رأينا كثيرة العدد وليست كما يقول مقدم ديوانه «انها ليست بالشيء الكثير».

تلك كانت طبعة ديوانه «عشيات وادي اليابس» الأولى التي ظهرت في ايلول . سبتمبر 1954.

ويتبين مما ذكرت ان هذه الطبعة قد أغفلت الكثير من قصائد الشاعر، والتي أصنفها بما يلي:

1. **القصائد السياسية** التي كان يتعرض فيها الشاعر للقصر والحكومة ورجال بريطانيا في البلاد، وهي ليست بالقليلة، بل يحفظ منها الشعب في الأردن الكثير، وقد أوردت في ثنايا الكتاب بعضها.
2. **القصائد التي تضمنها كتاب البدوي الملثم السابق الذكر**، والتي أشرت الى جانب منها، وهي كثيرة العدد وتضم . فيما تضم . القصائد التي كان يشترك بها في ديوان القصر الأميري، مع الأمير عبدالله وزواره من الأدباء والشعراء، ومجموعها يزيد على ثلاثمائة بيت موزعة في ثنايا الكتاب.
3. **القصائد التي عثرت عليها أثناء البحث في بقايا مكتبته في اربد**، والتي تضمنتها مخطوطة أطلق عليها «ديوان زهور الغاب»، وسيأتي الحديث عنها.

لذلك فإن ديوانه المطبوع «عشيات وادي اليابس» لا يمكن اعتباره جامعاً لكل أشعاره، إلا بعد أن تضاف اليه القصائد السابقة، بأنواعها الثلاثة.

ب. الطبعة الثانية من ديوانه: صدرت في عام 1973 الطبعة الثانية من ديوانه «عشيات وادي اليابس» بتصدير للدكتور محمود السمرة، ذكر فيه مبررات إصدار الطبعة الثانية، وأنا أوافق الدكتور السمرة على هذه المبررات، وبخاصة ما قال عنه:

«أن في أوراق الشاعر الخاصة شعراً لم تضمنه الطبعة الأولى، يستحق أن ينشر...»

إلا أنني أخالفه في ملحوظته التي يقول فيها:

«وهذه الطبعة الجديدة تهمل المحاولات الأولى للشاعر في نظم الشعر، وما كان تقليدا مصنوعا لقصائد قديمة، لأنها ليشت الصورة الحقيقة له، وهي تبدو غريبة عنه، ناشزة بين قصائده.»

1 ـ البدوي الملثم؛ عرار شاعر الاردن؛ صفحات التالى:
/275/272/270/259/257/256/242/240/232/225/219/201/200/193/169/151/100/99/98/59/37/36/35/34/33/32
307/306/283 وغيرها.

إن هذه الملحوظة تتنافى مع المنطق العلمي الموضوعي، فليس من حق أحد لن يهمل تراثاً لشاعر أو كاتب، على أساس مستوى هذا التراث، من حيث القوة والضعف، فأيا كان مستواه، يظل جزءاً مِن أدبيات الشاعر او الكتاب، ويستطيع الدارس ان يعرف منه الكثير، خاصة إذا كان من المحاولات الاولى، لأن دراسة الشاعر . أي شاعر . لا تكون قريبة من الكمال، ما لم يكن بين يدي الباحث جميع ما قاله الشاعر منذ صباه، لنعرف كيف تدرج في شعره، وما هي نوازعه ورغباته يوم كان أقرب الى الفطرة وعدم التصنع؛ وهذا ما نلحظه في أيامنا هذه بالنسبة لشعراء آخرين، توفوا منذ زمن، إذ يسارع الباحثون الى نشر ما يعثرون عليه من قصائد لم ينشرها الشاعر، على الرغم من مرور اكثر من عشر سنوات على وفاته؛ إن ما يصدر عن الشاعر، أياً كان مستواه، يظل ملكاً للتاريخ الأدبي، لا ينبغي إهماله تحت أية اعتبارات، ومن هنا جاء اهتمامي بمخطوطة عرار «زهور الغاب».

ومن هذا المنطق العلمي، انظر باهتمام الى مجموعة القصائد الجديدة التي ضمتها الطبعة الثانية من الديوان، على الرغم من أن بعض هذه القصائد ينطبق عليه ما قال عنه الدكتور محمود السمرة أنه «**المحاولات الاولى للشاعر**».

إن هذه المجموعة من القصائد تبدو منسجمة تماما مع الخصائص الفنية والموضوعية، لأشعار الشاعر، التي تعرفنا عليها من خلال الطبعة الاولى للديوان، بل تزيد بعض أفكار الشاعر تأكيدا، يجعل من هذه الافكار منطلقات أساسية عنده.

وتبقى ملحوظة أخيرة، تتعلق بالقصيدة الأخيرة في الطبعة الاولى، وبها نفسها في الطبعة الثانية[1]؛ وهي المسماة «بقايا ألحان وأشجان».

ففي الطبعة الاولى غطت هذه القصيدة الصفحات من 184 إلى 189 اِلاّ أنه في الصفحة 187 كرّر خطأ ما جاء في الصفحة 183، وبالتالي سقط من هذه القصيدة في الطبعة الاولى ما كان يجب أن تتضمنه الصفحة 187.

أما الطبعة الثانية فقد تضمنت ما سقط من الاولى، وهو من قوله:[2]

قالو «تمشكح»[3] في يافا لقد صدقوا
إني «تمشكحت» زغم العاذل الشاني

حتّى قوله:

لولا الهوى لم أرق دمعاً على طلل
و لا حننت إلى أطلال عمان[4]

وعددها ثمانية عشر بيتا.

إلا أن مقارنة هذه القصيدة كما وردت في الطبعة الثانية من الديوان، مع المقاطع التي تضمنها كتاب البدوي الملثم منها، توضح أنه قد سقط منها في الطبعة الثانية خمسة أبيات تأتي تاليه للبيت السابق، وهي:

الحمدلله ليست «مصر» لي وطنا
و أشكر الله أني لست عماني
لا أنت مني و لا أهلوك خلاني
و لا نداماك يا عمان ندماني
عمان! عمان! إن الكوخ قد عصفت

1 ـ يلاحظ أن الطبعة الثانية حافظت على تسلسل قصائد الطبعة الاولى كما هو، فحتى ص227 ضمنت قصائد الطبعة الأولى، ومن صفحة 228 إلى صفحة 267 ضمنت القصائد الجديدة المضافة.
2 ـ الطبعة الثانية من الديوان ص221.
3 ـ كلمة عامية بمعنى التسكع والتشرد.
4 ـ الطبعة الثانية من الديوان ص223؛ والشطر الأول مقتبس من بيت البوصيري:
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم

به الرياح فلست اليوم عماني
شربت كأسا و لولا أنهم سكروا
بخمرتي وسقوني الصاب إخواني
لقلت ياساقي[1] هلا . والوفاء كما
ترى تنكر . هلا جدت بالثاني؟

وتبدو هذه الأبيات منسجمة في موقعها هذا البيت مع البيت السابق لها، والذي تحدث فيه الشاعر عن «عمان» بقوله:

لولا الهوى لم أرق دمعا على طلل
و لا حننت إلى أطلال عمان

وفي الأبيات المذكورة . كما نرى . واصل حديثه عن «عمان» وما لاقاه من أهلها من تنكر وعدم الوفاء... (الخ)

عمل أيضاً في الصحافة إذ اشترى عام 1928 جريدة «الأنباء» من صديق له مقابل مائة جنيه حررها سنداً؛

و كانت الجريدة تتألف من صفحة واحدة كتب في أعلاها:

جريدة تصدر مرة في الأسبوع
إذا أتاحت لها الأقدار ذلك

وقد نشر في العدد الأول منها قصيدة الرصافي المشهورة والتي مطلعها:

يا قوم لا تتكلموا
إن الكلام محرم

قيل أن مصطفى وهبي اختار لنفسه اسم «عرار» لقول الشاعر:

أرادوا عراراً بالهوان ومن يرد
عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
وأن عراراً ان يكن ذا شكيمة
يخافونها منه فما أروع الشيم

3) اتّجاهات وأغراض شعره

1 . 3) شعره السياسي

كان جميع أبناء المنطقة يعلقون أهمية خاصة على إعلان السلطان عبد الحميد دستور عام 1908، إذ خيل اليهم أنه سيحقق المزيد من الحريات التي طالما انتظروها.

ولكن هذا الدستور لم يحقق للولايات العربية الحرية التي تعلقت بها أماني العرب، وإن أتاح لهم بعض الحريات الثانوية، وذلك لأن حرص «السلطان عبد الحميد على» دستور عام 1908 لم يكن يفوق حرصه على دستور عام 1876، الذي سبق أن عطله.

وكان قد بدأ بالفعل يخطط مع العناصر الرجعية لتطويق أماني الشعب، لولا إطاحة الجيش به، وتسلم رجال الاتحاد والترقي الحكم.

ومن ناحية انعكاس هذه التأثيرات على الحياة الأدبية، يكاد يجمع الباحثون[1] الذين تعرضوا للشعر السياسي في هذه المنطقة . بلاد الشام بما فيها شرق الاردن . حتى ما قبل عام 1908، على أنه اتخذ اتجاهات ثلاثة، سنعرض لها سريعاً كتوطئة لدراسة الشعر السياسي عند عرار:

1 ـ لا بد من قراءة كلمة (ساقي) بحذف الياء ليستقيم الوزن.

1. **الاتجاه الرسمي العثماني،** حيث كانت بلاد الشام عند إعلان دستور عام 1908 تشكل منطقة واحدة خاضعة للحكم العثماني، يعين عليها ولاة لادارة شؤونها، لذا يقصد بالاتجاه الرسمي– العثماني، تلك القصائد السياسية التي كانت تلبس ثوب المجاملة والتزلف لرجال السلطة والنفاق لهم، وكذلك القصائد التي كانت تنبعث من الايمان بالجامعة العثمانية وضرورة بقائها والمحافظة عليها. ولقد وجد في هذا التيار هاتان النزعتان المتناقضتان، فمن الشعراء من كان يسير في فلك الدائرة العثمانية ليس حباً في رجالها، ولكن جرياً وراء المصالح الشخصية، ومنهم من كان يرى في الجامعة العثمانية خير حافظ لعظمة الشرق والاسلام عن إيمان وقناعة.
2. **الاتجاه المعارض،** حيث كان يقف شعراء آخرون على النقيض تماما، فلم يسكتوا على المظالم العثمانية، وبخاصة في العهد الحميدي الذي تميز بالاستبداد، وسوء الادارة وإهمالها... وغير ذلك مما جعلهم يقفون في وجه الحاكم معلنين سخطهم واحتجاجهم.[2]
3. **الاتجاه العربي** الشامل، ولقد كان هذا التيار نتيجة الاحساس الواعي لدى شعراء الشام بأن ما تعانيه بلادهم من اضطهاد واستبداد، يشمل كل البلاد العربية، التي تحكمها إدارة عثمانية واحدة؛ لذا بدأت قصائدهم تأخذ صفة الشمول، وتخاطب الامة العربية كلها، دون قصرها عن بلاد الشام؛ ومن القصائد التي اشتهرت في هذا المجال، ونالت حظا وافرا من الانتشار، قصيدة الشيخ ابراهيم اليازجي التي يقول فيها:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم
وأنتم بين راحات القنا سلب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

وعند دراسة موضوعات شعر (عرار) السياسي، سنراه يتمثل هذا الرأي تماما، فهو شاعر يندمج اندماجا إيجابيا في مجتمعه، يؤثر فيه، ويتأثر به، قبل من أجله عدم الاستقرار والنفي والسجن، مؤكداً التزامه الكامل بشؤون مجتمعه وشجونه، ويبدو ذلك جليا من استعراض موضوعات شعره السياسي التالي:

- **نقد الاوضاع السياسية القائمة**

من بين الموضوعات السياسية التي أولاها عرار كامل اهتمامه، نقد الاوضاع السياسية القائمة في بلاده آنذاك، خاصة بعد إعلان قيام إمارة شرق الاردن، وتسلم الأمير عبدالله زمام الأمور فيها، ولقد أمل عرار . وأمثاله من الغيورين المخلصين . من حكومة الأمير عبدالله أن تقود البلاد . فعلاً . نحو الاستقلال الكامل، لذا وفد الكثيرون الى البلاد ليتخذوا منها منطلقا لكفاحهم ضد الاستعمار الأجنبي، خاصة بعد تقويض حكومة الأمير فيصل واخراجه من دمشق. ولكن الذي يبدو أن هؤلاء الوطنيين، رأوا أن ممارسات الأمير وحكومته تتناقض تماما مع الأهداف التي قدموا من أجلها، وعند هذا الحد انقسم هؤلاء الاخوان الوافدون الى فريقين:

- فريق آثر الاستمرار في الاقامة بالبلاد، خائضاً ضد الحكومة معارك النقد والتجريح.
- وفريق آخر لم يستطع الاحتمال بعد أن تكشفت له حقيقة الأمير وحكومته فألفى نفسه مضطرا الى مغادرة البلاد.

1 - من هؤلاء: أنيس الخوري المقدسي – الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث/ أمجد الطرابلسي – شعرالحماسة والعربية في بلاد الشام.
2 - من ذلك قصائد الشيخ أمين بن خالد الجندي الشاعر الحمصي المتوفى عام 1841 ورزق الله حسون الحلبي المتوفى 1880؛ ويراجع ديوان الزهاوي (طبعة مصر 1924) حيث يشن حملة قاسية على الدولة العثمانية الظالمة (دولة همجية تسوس بما يقضي هواها)؛ وفي نفس المجال لا يمكن نسيان الشاعر فؤاد الخطيب حيث كانت له مواقف صلبة، وقصائد نارية.

أما الأمر بالنسبة لعرار فيختلف عن بقية الشعراء، فهو ليس وافدا على البلاد من الخارج، حتى يغادروا إن لم تعجبه أمور الحياة، ولكنه ابن البلاد، حاضره ومستقبله متعلقان بثراها، ليس في وسعه ان يغادرها، لذا لم يكن أمامه الا ان يصمد فوق تراب وطنه مناضلا من أجل تصحيح الاوضاع الزائفة، غير عابىء بالنفي والاعتقال، بالسجن والطرد من وظيفته، مصدر رزقه الوحيد.

- **تحية الرجال المخلصين**

عندما شدد عرار في حملته ضد المتسلطين على مقدرات بلاده، كان من الطبيعي ان يتطلع ببصره الى الفئة المناهضة للفساد والتسلط، الى الرجال المخلصين الذين وضعوا مصلحة الوطن فوق كل الاعتبارات، وكما كانت حملته على الفئة الأولى عنيفة شديدة، كان تقديره للفئة الثانية حارا يملؤه الاعزاز والتقدير.

وأول من أشاد بمواقفهم المخلصة، الحسين بن علي، قائد الثورة العربية ضد الأتراك، قال في تموز . يوليو 1931 يرثي الحسين وهو منفي آنذاك في العقبة:

لانت قناتك للمنون و قلما كانت تلين
فعفا الحمى ممن أعز و غادر الأسد العرين
وبقلب عنوان العروبة و لحجا سكن الوتين
صرخ النعي وماكنى و الناس غير مصدقين
أمحور الشعب الهضيم و ناشر الحق الدفين
و مقيل عثرة امة أعيى النهوض بها القرون

الى أن يقول:

أ أصبحت أم أخطأت في مسعاك نهج المحسنين
شأنها لن يعنى بمثلـ ها مؤرخك الرصين
يكفيه انك كنت عف النفس وضاح الجبين
لم تشر اذ بلفور سامك موطناً دنيا بدين[1]

ومن هؤلاء الرجال، الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة، من الزعماء الوطنيين المعروفين في الأردن، وكان صديقاً عزيزاً للشاعر، وزميله في مراحل الدراسة الأولى، وعملا معاً في الحقل الوطني، فكانا على رأس المعارضة التي وقفت في وجه المعاهدة الانجليزية . الأردنية، وعندما كان «أبو غنيمة» على رأس حركة المعارضة لقي الكثير من الإضطهاد على يد الانجليز وأذنابهم، مما اضطره الى الارتحال عن الأردن، والإقامة في دمشق حيث ظل يواصل جهاده ضد الانجليز.

- **الحملة على الأيدي الأجنبية**

كانتمهمة المعتمدين البريطانيين في شرق الأردن، في فترة الانتداب البريطاني، الحفاظ على ربط شؤون البلاد بعجلة السياسة البريطانية، ونتج عن ذلك تدخل هؤلاء المعتمدين في نواحي البلاد المحلية والخارجية كافة، وكانوا وراء كل الاضطرابات التي شهدها شرق الأردن، بل كانوا من المحرضين على قيام الحكومات المحلية[2]، فتقاعسوا عن نجدة الحكومة الناشئة أمام حركات الأهالي، ونزعات التمرد، كي تبقى البلاد رهينة سلطاتهم، وفي خدمتهم.

ولقد وضع عرار هذه الجماعة نصب عينيه، وشن حملة شديدة عليهم وعلى القوانين التي كانوا يسنونها لإذلال الشعب، وتقييد حرياته، يقول[3]:

1 - ديوانه؛ ص 98 - 100.
2 - من أجمل الأوصاف لطبيعة المعتمدين البريطانيين في شرق الأردن، ما أورده خير الزركلي في كتابه: عامان في عمان ص30 - 31.
3 - ديوانه ص 47.

قانون (هوبر) حال بعض جريضه دون القريض ودون كل بيان[1]
قومي وقومك[2] في الصغار وجهلهم معنى الحمية، كفتا ميزان
و أنا وأنت على اختلاف قبيلنا في عرف (بيك)[3] وجيشه سيان

2 . 3) شعره الاجتماعي

من القضايا المهمه التي أثارت جدلا في أوساط النقد الادبي، قضية صلة الاديب بالمجتمع، أو العلاقه بين الادب والحياة الاجتماعية.

كان أول مالفت انتباه عرار في الوضع الاجتماعي السائد في شرق الأردن، تدخل المعتمدين الانجليز في كافة نواحي البلاد، داخلية وخارجية، يسنون القوانين الجائرة التي تحقق مصالحهم كدولة مستعمرة، دون النظر لمصالح البلاد والمواطنين.

أ. الحملة على الأوضاع الاجتماعية المنحرفة

كان عرار يعي تماما دور الأديب الملتزم بأهداف مجتمعه ومتطلبات مسيرته اليومية، وقد جند قلمه ليعبر عما يعترض أمته، وعما تلاقيه من بطش وفساد، من القصر والمعتمدين البريطانين، وقد تعرض من جراء ذلك الى مزيد من السجن والنفي والطرد من الوظيفة، الشاعر عرار فقد عاش حياة مجتمعه تماما، وتمثل كل اللحظات والدقائق التي كان يمر بها هذا المجتمع.

كان شاعرا ملتزما يعي بوضوح دور الأدب والأديب، والمهمة الملقاة على كاهليهما وسط ظروف العصر الحديث التي ماعادت تسمح لانسان أن يقف موقف المتفرج مما يدور داخل مجتمعه؛ في بداية وعيه الاجتماعي شهد (عرار) حياة وطنه وأهله تحت الحكم العثماني، حيث سوء الادارة واهمالها، والبطش بالأحرار العرب على يد جمال باشا (السفاح) في أيار . مايو 1916.

ومع بداية حياته العملية في عام 1918 كانت العلاقة العربية . التركية قد انتهت تماما بثورة الحسين بن علي، وعلقت الجماهير العربية الآمال العراض على انتصار الحلفاء في الحرب العالمية ألاولى، وكان هذا يعني عندهم الحرية والاستقلال، ولكن النتيجة كانت مخيبة لآمالهم، اذ أصبحت البلاد العربية نهبا لدول الحلفاء ذاتها، بعكس ما تمنى الشعب وما وعد به أبان الحرب.

وقد عاش (عرار) فترة حكم الانجليز لبلاده شديد الانزعاج بتدخلهم في شؤون البلاد الداخلية والخارجية، ومصادرتهم لحريات المواطنين، وتنكرهم لأبسط الحقوق الانسانية. عاش عرار كل ذلك، ومع ادراكه ووعيه لدور ألاديب في مجتمعه، التزم بمصلحة الوطن والمواطنين، وأخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن كل ما يحقق لقومه الحرية والتقدم، ولما كان التزامه بذلك عن قناعة وطنية، لم يترك أية ناحية اجتماعية تهم مصلحة الوطن والمواطن الا وتفاعل معها بالطريقة التي تحقق المصلحة العامة، ويبدو ذلك من معالجاته التالية:

ان الزمان ولا أقول زماني بين الطوابع والرسوم رماني[4]
وأحال لذاتي وساوس حاسب يهذي بضرب ثلاثة بثماني[5]

ب. مداعبات اجتماعية ساخرة

تميز عرار بروح مرحة، لم تترك لحظة أو موقفا الا وأضفت عليه مسحة من الظروف والدعابة، وكان كثير السخرية، بعيدا عن الجدية، وعرف عنه ذلك في حياته الشخصية والرسمية، في الوظيفة وغيرها، دون ان يؤثر هذا الجانب المرح الساخر

1 ـ المستر هوبر كان مستشاراً للعدلية في عهد الانتداب البريطاني، وذكر القانون إشارة الى أن القوانين في الأردن كانت توضع بإرادته.
2 ـ يخاطب نورية، ويقصد قومها.
3 ـ بيك: هو فردريك باشا ضابط بريطاني كان قائداً للجيش والشرطة في الأردن، وخلفه كلوب الذي تم عزله عام 1957.
4 ـ يشير في ذلك الى تعيينه في احدى فترات عمره مأمورا للاجراء، يعيش بين الحسابات والأرقام والطوابع، وفي ذلك اشارة الى وضع الرجل المناسب في المكان غير المناسب، حيث يوضع شاعر وأديب في عمل لايتناسب مع ميوله ومواهبه.
5 ـ ديوانه ص 61.

على مواقفه الوطنية، فهو مرح ولكن ليس الا حد الابتذال، ساخر ولكن ليس الى حد الاسفاف، ويروي الذين عاصروه وصادقوه الكثير من نكاته، ومن لمحات هذه الروح الساخرة؛ واما أن تكون وسيلة للنقد الكاريكاتوري اللاذع لأوضاع مجتمعه ورموزها البشرية، كما سنجدها عند (عرار).

من هذه الرموز البشرية، التي اتخذها عرار وسيلة لنقد كثير من أوضاع مجتمعه، ومن عليه من هياكل بشرية، شخصية صديقه الشيخ (عبود)؛ واسمه الكامل عبود النجار، وهو من الطائف في الحجاز، كان قد قدم مع موكب الأمير عبدالله أيام الثورة العربية، وشغل عدة مناصب دينية كان آخرها منصب القاضي الشرعي، وتعرف عليه (عرار)، فاتخذ منه رمزا بشريا لكثير من النقد والتجريح كما سنرى. يقدم الشاعر هذه الشخصية لقرائه تقديما طريفا فيه الكثير من مرح روحه المعروف، مسبغا عليه شتى الصفات عن طريق أسئلة ساخرة ليصل بعد نفيها الى تحديد كنه هذه الشخصية التي كانت محور كثير من قصائده يقول:[1]

لقائل من هو يا عربيد! هذا الذي بذكره تشيد؟
وباسمه تسبرم القصيد! أمترف معاشه رغيد؟
و قومه غر أباة صيد! أم شاعر أم كاتب مجيد؟
أم فارس أم بطل صنديد ؟

3 . 3) رثاؤه الرفاق

كان لابد لشاعر اجتماعي وطني ملتزم كعرار ان يخفق قلبه لكل ما يصيب بني قومه من الآم وآمال، ومن أفراح وأحزان، يشاركها كل مايمر بهم، فهو منهم واليهم، يشقى بشقائهم، ويسعد بسعادتهم.

عرار شديد الفجيعة، بينما النور، تسير حياتهم اليومية على وتيرتها المعروفة، أأيمانا منهم بهذا القضاء، أم لامبالات؟ أغلب الظن أنهم كانوا يرون في الموت خلاصا من حياتهم الوضيعة، وخلاصا من أوضاع اجتماعية تنبذهم، ولا تعترف بانسانيتهم:

لم تفطر مرائر الزط لما غيبوه و لا انفرت أكباد
ودوى طبلهم كما كان يدوي يوم للهبر كانت الأمجاد
واستمر الندمان يسقون صرفا من رحيق كرومه جلعاد
و مضى عازف الربابة يشدو لحنه وانبرت لرقس سعاد
هبر حتى حمير قومك اذ تنشج، مغزى نشيجها انشاد
مت كما شئت فالندامى بلهو ليس من شأنهم عليك الحداد[2]

تلك كانت أهم الموضوعات التي عالجها عرار ضمن تيار شعره الاجتماعي، كان ينطلق فيها من الاحساس الواعي بموقفه كشاعر، ملتزم، يعرف دور الكلمة ومفعولها في عصرنا الحديث، التزم عرار بكل قضايا الوطن والمواطنين، مدركا أن النضال من أجل مستقبل بلاده واجب تحتمه عليه مواطنيته؛ لذا أمضى عمره واهبا حياته لهذا الوطن، راضيا بالسجن والنفي والاعتقال في سبيله، وفي هذا يكمن سر شيوع أشعاره على ألسنة مواطنيه في شرق الاردن.

1 ـ ديوانه ص 68 _ 69.
2 ـ ديوانه ص 51.

4 . 3) شعره الوطنى

ان الهيا والتغني بالوطن ليسا أمرا جديدا في الادب العربي أوفي الاداب الأجنبة، اذ أن حب الوطن عاطفة فطرية توجد عند كل انسان، وغريزة طبيعية قلما يخلو منها بشر؛ ولكن تغني عرار وهيامه بوطنه كان فريدا من نوعه، ان لم يكن لا مثيل له.

لقد بلغ حدا من التطرف في التغني بوطنه جعل كثيرين يتهمونه بالاقليمية . التي تعرضنا لها سابقا . فالوطن لايأتي ذكره عابرا في أشعاره، انما يأخذ عنده بعدا خاصا، وكأنه عضو أساسي لاحياة بدونه، لدرجة أنه يرفض «الجنة» وحارسها «رضوان» لالسبب الا لأنهما ليسا «أردنيين»، يقول[1]:

يقول عبود جنات النعيم على أبوابها حارس يدعوه رضوانا
من ماء (راحوب)[2] لم يشرب وليس له ربع بـ(جلعاد)[3] أوحي بـ(شيحانا)[4]
و لاتفيأ في (عجلون) وارفة و لا حدا بهضاب (السلط)[5] قطعانا
ولا أصاخ الى أطيارنا سحرا بـ(الغور)[6] تملؤه شدوا و ألحانا
ولا بوادي الشتا[7] نامته جؤذرة ولا رعى بسهول الحصن غزلانا
و لا تأردنه يوما بمحتمل و لا لتقديسه الاردن امكانا[8]

5 . 3) شعره الغزلى

كان عرار رجلا يستهويه الجمال أينما كان، في المرأة، وفي الطبيعة، خاصة اذا كانت المرأة والطبيعة من الأردن، فقلبه . بلا شك . سيرف عندئذ وتعلو وتنخفض دقاته، فالجمال أساس ومرتكز حقيقي في مذهبه الحيوي. في الفترة التي بدأ فيها عرار ينظم الشعر ويتذوقه لم تكن اربد . مسقط رأسه . سوى بيوت من العشيش تعد على اصابع اليدين، وكانت البيئة لاتزال محافظة والمرأة محجبة، تخجل من الخروج الى أقاربها المقربين.

كان لعرار . كغيره من البشر . قلب يعشق الجمال، ويتغنى به أينما وقعت عليه عيناه، وقد زاد هذا التغني والتعلق عنده نفسية تميل ميلا طبيعيا الى جمال المرأة والطبيعة خاصة اذا كانتا من «الأردن»، فهو لابد بهما هائم ومتعلق الى درجة العبادة.

كانت طبيعة نفسه تملي عليه أن يكون صاحب فكرة خاصة ترى الجمال ومتطلباته من هيام الحسان من «الامور الجوهرية» والضرورية في الحياة، يضاف الى ذلك اللذة الناجمة عن الخمر، فلق كان في مذهبه الحياتي يرى:

«أن الحياة هدفها اللذة فهو يرى أن اللذة تنشأ من الخير، وأن الخير مصدره الجمال، ولهذا يجب البحث دائما عن الجمال والاستمتاع بكل ماهو جميل في الحياة.»[9]

كانت حياة (عرار) في فترة ما بين عام 1897 . 1949؛ وهي الفترة التي شهدت في عالم الشعر العربي الحديث مرحلتين من مراحل تطوره هما: مرحلة «مدرسة الديوان»، ومرحلة «جماعة ابولو».

ولقد عاش عرار في هذه الفترة التي شهدت مذاهب جديدة في مسيرة تطور الشعر العربي الحديث، لذا فان أي تقويم للشاعر لا بد أن يكون من خلال هذه التيارات الشعرية التي شهدها عصره، وعاش الشاعر حياته الشعرية من خلالها، وكانت

1 ـ ديوانه ص 72.
2 ـ راحوب: قرية الى الشرق من اربد وفيها مياه عذبة غزيرة.
3 ـ جلعاد: من قرى اللواء الشمالي في الاردن.
4 ـ شيحان: جبل معروف في الكرك.
5 ـ عجلون والسلط من المدن المعروفة في الاردن.
6 ـ الغور: يطلق على المنطقة المحاذية لشاطئ نهر الاردن من الجهة الشرقية.
7 ـ وادي الشتا: يقع بالقرب من وادي السير قريبا من عمان.
8 ـ الصواب: امكان بالرفع.
9 ـ مقدمة ديوانه ص 43.

له صداقات مع بعض روادها، كصداقته مع الشاعر ابراهيم ناجي، وغني عن التعريف ما جاءت به هذه التيارات من جديد في عالم الشعر العربي، حيث كان شعراء الديوان الثلاثة «شكري . العقاد . المازني» مثقفين ثقافة عميقة بالآداب الانجليزية وعلى شيء من المعرفة بسواها من بعض الآداب الغربية، فاختلف فهمهم لطبيعة الشعر عن فهم شعراء البعث الذين سبقوهم، حيث عرفوا أن شعراء البعث لم يخضعوا شعرهم لحياتهم النفسية وطبيعة الحياة من حولهم.

كان عرار لا يزال في طور تكوينه الأول، وفي المرحلة الابتدائية من تعليمه تقريباً. وبعد أن عاد من دمشق، وبدأ نظم قصائده الأولى، فلعله اطلع آنذاك على نماذج من هذا الشعر الجديد، خاصة أنه والشباب امهاله، كانوا يترقبون الصحف القاهرية بشوق وشغف، وكانت المعارك الأدبية التي جرت في مصر قد وصلت تأثيراتها إلى العالم العربي كله، وبخاصة الآثار التي أحدثتها جماعة أبولو، كما أن عرارا نفسه كان قد زار العاهرة في عام 1938، موفداً من الأمير عبد الله في مهمة سرية، وفي اثناء هذه الزيارة، التقى بصديقه الشاعر ابراهيم ناجي، وفي هذه السنة كانت ملامح التطورات الشعرية الجديدة قد اتضحت[1] واتخذت صيغاً شعرية محددة، واضحة المعالم، في المضمون واللغة الشعرية على السواء.

وقد ارتبطت هذه التأثيرات والتطورات الشعرية الجديدة في محيطها الخاص، ببيئة «عرار» في عهد الاحتلال البريطاني لبلاده، الذي تستر تحت اسم «الانتداب»، بينما هو في واقع الحال احتلال بكل معنى الكلمة، وجهت فيه موارد البلاد برغم فقرها،لخدمة الدولة المحتلة.

كما رافق ذلك كبت داخلي للحريات، وقمع لحركة المعارضة بالعنف مما هيأ الجو إلى أن يرتد عرار في شعره إلى ذاته، يعبر عنها، آمالا وآلاما، وفي الوقت نفسه تنعكس على ذاته ذاتية مجتمعة وشخصيته العامة، فلم يكن بمقدوره أن يغمض عينيه عن آلام مجتمعه وهو الذي كان يرى خلاصه إنما يكون عبر خلاص وطنه وقومه.

ولعل جانبا كبيراً من خصب شخصيته الأدبية يكمن في اندماج واقعه الذاتي في واقعه الموضوعي، إذ جاءت مواقفه الخاصة مرتبطة ارتباطا عضويا بالمواقف العامة لواقعه، وقد أدى ذلك كله الى التعبير الوجداني المتميز بالبساطة المغرقة أحيانا، وهو بهذا كله شاعر رومانسي يتحسس ذاته بصدق.

4) الخصائص الفنية في شعره

لقد توافر لشعر عرار في مجموعه، عدة خصائص انفرد بها وميزته عن سواه ولم تبد في نتاج شاعر آخر من معاصريه، كما جعلت شعره في شرق الأردن معروفا لدى الجميع، يميزونه ويتعرفونه لمجرد سماعه.

ومن أهم هذه الخصائص الفنية التي يميز بها شعر عرار عن غيره من شعراء المنطقة، تلك «المسحة الشعبية» التي صبغت أغلب قصائده وطغت عليها متمثلة في مظاهر شتى.

وأول هذه المظاهر عنده الاستيحاء لكامل بلاده في كل شيء، فعج شعره بالالفاظ والتعابير الأردنية المحلية التي يصعب فهمها على غير الأردني، ولقد ورد في ثنايا الكتاب الكثير من هذه الالفاظ والتعابير، الشديدة الالتصاق بالبيئة الاردنية المحلية.

لم يكن مستوى عرار الثقافي بالمستوى الرفيع، فمعارفه كانت بسيطة، وتحصيله العلمي كان محدوداً، ومع أن الله منحه ذكاء وقاداً، إلا أنه لم يستفد منه كما يجب، فلم يحاول أن ينمي ثقافته ويوسع اطلاله ومعلوماته، وأغلب وقته كان مضيعاً بين الشراب والطرب، ولهذا جاء شعره يحمل الكثير من الأخطاء الغوية والأسلوبية والعروضية، بعيداً عن التنقيح والتهذيب، يظهر فيه اثر الفوضى والاهمال، وسبب ذلك اهتمامه بالمعنى أكثر من اهتمامه باللفظ، فقد دفعه ذلك إلى الخروج عن بعض ما هو مقرر من القواعد اللغوية والأسلوبية في بعض الأحيان.

1 - في عام زيارته للقاهرة (1983) كان قد مضت سنون طويلة على صدور ديوان شكري الاول (ضوء الفجر) الصادر في عام 1909، وكتاب (الديوان في الادب والنقد) للعقاد والمازني الصادر في عام 1921 فكان لا بد أن يضع يده على خلاصة هذه التطورات،وانعكاساتها في عالم الشعر.

ولكننا مع ذلك لا نستطيع إلا أن نقر بصدق مشاعر عرار واحساسه في شعره... وقد وصفه صديقه محمود المطلق المحامي بقوله:

«لم يكن مصطفى واسع الثقافة والاطلاع والمعرفة، وإنما كانت معارفه بسيطة، وثقافته محدودة، فقد تلقى في صباه تعليما يعادل التعليم الثانوي إن لم يقل عنه وفي دراسته هذه تعلم التركية التي كانت اللغة الرسمية، وصار له إلمام بالفارسية التي كانت تدرس آنذاك ... ولم يحاول فيما بعد أن يوسع ثقافته كثيرا، وأن يطلع على المذاهب الفكرية الحديثة في العلوم والفنون والآداب، ولهذا كان مستوى ثقافته أقل كثيرا من مستوى ذكائه الفطري، فقد كان مصطفى خارق الذكاء، ولكنه كان بوهيميا قليل الجد لا يميل الى الدرس بمقدار ما يميل إلى إشباع مشاعره، وتحريك نوازعه الشعرية بالشرب والغناء وطرد الهوى»[1]

النتيجة

والحقيقة أن شعر (عرار) انما هو مرآة لحياته وظروفه، تتجسم فيه ملامح الشاعر وميوله وحقيقة تفكيره وتناوله للأمور، فهو مرآة نفسه وصدى محيطه وعصره، وسجل صادق لحياته الخاصة والعامة، يدور معه في هذه الدوائر الصغيرة التي كان يعيش فيها، ولا يكاد يخرج عنها. ويصدق فيه وصف العقاد لديوان البارودي، فشعر عرار يدل عليه ما عرفناه في حياته الخاصة والعامة، أو كما وصفته لنا أعماله، وصوره لنا معاصروه، وهذه من مميزات الشعراء الأصلاء. يقول عنه نديمه «محمود المطلق المحامي»[2]:

«عاش مصطفى (عرار) حياة صاخبة فيها الكثير من الجد والكثير من اللهو، كما فيها الكثير من السرور والكثير من الألم، وقد جاء شعره صورة حية صادقة لهذه الحياة التي عاشها بخيرها وشرها، بجدها وعبثها.»

ان شعر عرار . دون مبالغة . وثيقة ميدانية على لحظات حياته الخاصة، وحياة وطنه وقومه، في شعره تتحسس عراراً الانسان الذي هو صورة للانسان الأردني في آلامه وآماله، في حزنه وسروره.

وفي شعره تحس بوقائع الحياة الاردنية في مختلف ميادينها. في شعره رائحة الأزهار والورود الأردنية، وقد أوردنا الكثير من أشعاره الدالة على ذلك.

تأثر عرار بشعراء مثل الشاعر الفارسي عمر الخيام، ولكن تأثره هذا لم يمح شخصيته من شعره، فعلى الرغم من ذلك ظل لعرار في شعره طابعه الخاص المميز ذو المسحة الشعبية والروح الخفيفة ... فشعره يزخر بالألفاظ والتعابير العامية، والأقوال الدارجة، والنكات الشعبية، وهذه اللمسات تبدو جلية في كل قصائده فتعطي شعره نكهة خاصة، وتطبعه بالطابع الأردني.[3]

فهرس المصادر

1. أحمد أبو مطر: **عرار الشاعر اللامنتمي**، دار صبراً للطباعة والنشر، دمشق – نيقوسيا، ط2، 1987.
2. أنور الجندي: **الشعر العربي المعاصر**، مكتبة المعارف، بيروت والانجلو المصرية، القاهرة.
3. انيس الخوري المقدسي: **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت 1966.
4. زكي المحاسني وآخرون: **دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة**، منشورات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.
5. زياد صالح الزعبي، (المقدمة)، جمع وتحقيق وتقديم: **عشيات وادي اليابس**، دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1982.
6. ساطع الحصري: **حوليه الثقافة العربية السنة الأولى 48 – 1949**، الادارة الثقافية في الجامعة العربية، القاهرة 1949.
7. سلامة موسى: **الأدب للشعب**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1956.
8. سليمان الموسى: **أعلام من الأردن**، مطابع دار الشعب، عمان، ط1، 1986.

1 ـ مقدمة ديوانه ص43.
2 ـ مقدمة ديوانه ص37.
3 ـ فصلنا الحديث في هذه الجوانب عند الحديث عن (خصائص شعره الفنية) قبل قليل.

9. عبدالله رضوان: **عرار شاعر الأردن وعاشقه** (مختارات)، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 1999.
10. **مجلة عالم الفكر الكويتية:** المجلد الرابع، عدد 220، مقالة للدكتور محمود مكي.
11. **مجلة عالم الفكر الكويتية:** المجلد الرابع، العدد الثاني لعام 1973، بحث للدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي.
12. **مجلة الاقلام العراقية:** العدد 12 السنة الثامنة 1973، مقال لمحمود امين العالم.
13. **مجلة الكلمة العراقية:** العدد السادس، تشرين الثاني . نوفمبر السنة الخامسة، قصيدة للبياتي.
14. محمد مصطفى هدارة: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف، القاهرة 1963.
15. محمد النويهي: **وظيفة الأدب**، معهد الدراسات العربية، القاهرة 66 . 1967.
16. محمد أبو صوفة: **أعلام الأدب والفكر في الأردن**، مكتبة الأقصى، عمان، ط1، 1983.
17. محمود السمرة: **عشيات وادي اليابس** (محقق)، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان، ط2، 1973.
18. محمود المطلق: **عشيات وادي اليابس** (محقق)، شركة الطباعة الحديثة، عمان، ط1، 1994.
19. محمود عبيدات: **سيرة الشاعر المناضل مصطفى وهبي التل (عرار) 1897 . 1949**، بدعم من وزارة الثقافة، عمان، 1996.
20. منيب الماضي وسليمان موسى: **تاريخ الأردن في القرن العشرين**، عمان، الطبعة الأولى، 1959.
21. ناصر الدين الأسد: **أديبان من الأردن**، منشورات جامعة عمان الأهلية، ط1، 1993.
22. هاشم ياغي: **القصة القصيرة في فلسطين والأردن**، معهد الدراسات العربية، القاهرة 1966.
23. يعقوب العودات (البدوري الملثم): **عرار شاعر الأردن**، دار القلم، بيروت، ط1، 1980.
24. يعقوب العودات (البدوي الملثم): **عرار شاعر الأردن**، المطبعة الوطنية، عمان، ط1، 1958.
25. يوسف بكار: **رباعيات عمر الخيام من ترجمة مصطفى وهبي التل**، دار الجيل ومكتبة الرائد العلمية، بيروت – عمان، ط1، 1990.